بسم الله الرحمن الرحيم

و به نستعين

الحمد لله الذى فطر العباد على معرفته ٭ وجعل الكائنات أدلة على علمه وحكمته وقدرته ٭ فمن سرح نظره فى الأنفس والآفاق ٭ طلعت شمس المعارف على قلبه ظاهرة الأشراق ٭ تلك والله هى الأدلة الواضحة لاذليل الا كوان ٭ ولا ماحرره فلان على قواعد اليونان . فقد اسفرت وجوهها لمن كانت له عينان ناظرتان ٭ وأسمعت بندائها من كانت له أذنان واعيتان ٭ قائلة أنظر الى الارض وما عليها اشتملت ٭ والى السماء وما فيها من مصابيح للعباد قد ظهرت ٭ تهتدى بها السراة فى ظلمات البر والبحار ٭ و يستدل بها الزراع على أوقات ازدراع الثمار ٭ وأرجع النظر الى الشمس والقمر وما فيهما من الآيات الباهرات ٭ والحكم التى وجوه اتقانها للعقول سافرات ٭ لايدخل أحدهما فى فلك الآخر فيلتبس الليل بالنهار بل كل فى فلك يسبحون يجريان بمصالح العباد التى لايدرك حصرها الحاصرون ٭ والتفت الى السحاب والرعود والبروق ٭ والى الغيث النازل من غربال السحاب على وفق حاجة المخلوق ٭ ثم لايأتى العباد بغتة بل بعد تقدم الامارات . لينحازوا الى ما أنعم به عليهم من المساكن العامرات . ولا يدوم عليهم فيفسد البلاد . وتعطل بدوامه منافع العباد . وتدبر فى الأشجار وما فيها من الثمار . المختلفة فى الطعم واللون والمقدار . ومستقرها قطع متجاورات تسقى بماء واحد . لاتدرك العقول تفاصيل حكمتها وهل ينكر ذلك الا معاند ؟ . وافتكر فى هذه البسيطة التى هى قرارك ٭ وفيها تقلبك و بها أوطارك ٭ تجدها قد خلقت سهولا وانجادا . وجعلت فيها الجبال رواسى اوتادا ٭ وجعلت متوسطة بين الصلابة واللين ٭ اذ لو كانت فى غاية اللين لما استقر فيها بناء ولا انتفع الساكن بها فى حين ٭ او فى نهاية الصلابة

لما قبلت الماء ولا انبتت للعالم شيئا من القوام . فوجه حكمة خلقها — كما هى — تقصر عن العبارة عنه ألسنة الأقلام ٭

تأمل سطور الكائنات فانها ٭ من الملك الأعلا اليك رسائل

وقد خط فيها لو تأملت خطها ٭ ألا كل شىء ماخلا الله باطل

فسرح حدقة فكرك فى تأمل(١) مافى الكون من المخلوقات المتنوعة حيوانا وجمادا ٭ تجد فى طى أجناسها وأنواعها وأفرادها من الحكم مايزف الأقلام ولو كان البحر لهامدادا ٭ قد ذللت صعاب الحيوانات لانتفاع العباد ٭ ولونت منافعها لكل حاضر وباد ٭ لاتدرك الأنظار قدر نعمة نفعها فمنها ركوبهم ومنها يأكلون . ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاث ومتاع بهما ينتفعون . ونوعت الجمادات لتنفعل فى كل مايراد ٭ فما للسان — وان هدرت — أحاطة بمافيها من منافع العباد ٭ بل تأمل فى نفسك وما فيها من عجائب الاتقان . ولو تأملتها حق التأمل لعلمت أنها عالم قد انطوى على كل برهان . أين أنت عن آيات بينات قد اشتملت أنت عليها ؟ ودلائل ظاهرات تناديك لو أصغيت اليها ؟ لقد انطوى فيك العالم الأكبر ٭ لكنك معرض عنه(٢) فلا تنظر ولا تتدبر ٭ مطلق لعنانك فى ميادين الغفلة بكل شهوة مفتون ٭ كأنك لم تسمع بما يقول ربك « وفى أنفسكم أفلا تبصرون ؟ » فيا أيها الناظر بعين البصيرة ٭ الى السماء وما فيها من الكواكب المنيرة ٭ ويا أيها الملتفت الى السحاب ٭ وما فيها من الآيات لأولى الألباب ٭ ويا أيها المتدبر ما فى وجه هذه البسيطة من الاشجار ٭ وما يغذيك به من أنواع الثمار ٭ ويا أيها المفكر فى الارض التى هى سكناه ٭ وما اشتملت عليه من المنافع التى لايحيط فهمه بمعناه ٭ ويا أيها المتأمل فى عالم الحيوان والجماد ٭ الدال على حكمة منشئه التى لايحدها الا مرتكب العناد ٭ ويا أيها المبصر المتبصر فى نفسه ٭ وفى أمثاله من أبناء جنسه ٭ هل يناجيك عقلك بعد ان تسبح به فى بحار هذه الآثار ؟ وما فيها أنها قديمة مستغنية عن صانع مختار

(١) وفى نسخة متأملا (٢) وفى نسخة عنك : أى عن نفسك

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)